المستوى الدلالي

عرف علم الدلالة بتعاريف عدة، منها: أنّه ((دراسة المعنى))، أو هو ((ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى))، أو ((ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرًا على حمل المعنى)).

نأخذ في هذا المستوى تغير المعنى دلاليًا، ويمكن تقسيمه على قسمين:

١. أسباب تغير المعنى.
٢. أشكال تغير المعنى.

أسباب تغير المعنى

أهم الأسباب التي تؤدي إلى تغير المعنى:

١. ظهور الحاجة: يلجأ أبناء اللغة إلى الألفاظ القديمة المندثرة فيحيون بعضها ويطلقونه على مستحدثاتهم، ملتمسين في هذا أدنى ملابسة ملتمسين في هذا أدنى ملابسة، من ذلك مصطلحات الاختراعات والاكتشافات الحديثة والتي نستعمل لها ألفاظًا قديمة لمعان حديثة فقد وجدنا أنفسنا أمام ذلك الموج الزاخر من الألفاظ القديمة الصورة الجديدة الدلالة ، مثل كلمات (المدفع والدبابة والسيارة والقاطرة والثلاجة والسخان والمذياع والذبذبات والتسجيل والجرائد والصحف...)، ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن هذه العملية تتم عن طريق الهيئات والمجامع اللغوية، أو أنها قد تكون على مستوى الأفراد من الموهوبين في صناعة الكلام مثل الأدباء والكتاب والشعراء.
٢. التطور الاجتماعي والثقافي: وهذا السبب على صور هي:

- قد يكون شكل الانتقال من الدلالات الحسية إلى الدلالات التجريدية نتيجة للعقل الإنساني ورقيه، والانتقال هذا يكون بشكل تدريجي، وقد تنزوي الدلالة الحسية أو تندثر، أو قد تكون مستعملة مع الدلالة التجريدية جنبًا إلى جنب لمدة تطول أو تقصر.

- ب- قد يكون التغير على شكل اتفاق مجموعة فرعية ذات ثقافة مختلفة على استخدام ألفاظ معينة في دلالات تحددها تتماشى مع الأشياء والتجارب والمفاهيم الملائمة لمهنها وثقافتها، وقد يؤدي إلى نشوء لغة خاصّة، وقد حدث مثل هذا في الكلمات الدينية، مثل: الصلاة والزكاة والوضوء والتيمم.وغالبًا ما تنتقل الدلالة من العام إلى الخاص في مثل هذه الحالات.
- ت- قد يكون التغير على شكل استخدام اللفظ ذي المدلول القديم وإطلاقه على مدلول حديث للإحساس باستمرار الوظيفة رغم الاختلاف في الشكل، والمثال على ذلك كلمة (سفينة) التي لم تتغير صيغتها منذ عهد قديم، ومازالت تستعمل إلى يومنا هذا على الرغم من أن السفينة الحالية تختلف عما كانت عليه قديمًا في الشكل والحجم.

٣. المشاعر النفسية والعاطفية: تحظر اللغات استعمال بعض الكلمات لما لها من إيحاءات مكروهة، أو لدلتها الصريحة على ما يستقبح ذكره، وهو ما يعرف بالامساس، والامساس لا يؤدي إلى تغيير المعنى ولكن الذي يحدث أن المصطلح البديل يكون له معنى قديم، مما يؤدي على تغير دلالة اللفظ، وكأن الامساس يؤدي إلى التحايل في التعبير أو ما يسمى بـ(التلطف)، وهو في حقيقته إبدال الكلمة الحادة بكلمة أقل حدة وأكثر قبولا، وهذا التلطف هو السبب في تغير المعنى.

٤. الانحراف اللغوي: قد ينحرف مستعمل الكلمة بالكلمة من معناها الى معنى قريب أو مشابه، فيعد من باب المجاز، ويلقى قبولا من أبناء اللغة بسهولة، وقد يكون الانحراف بسبب سوء الفهم أو الالتباس أو الغموض فيتصدى له اللغويون بالتقويم والتصويب.

ويحدث سوء الفهم عندما يصادف المرء اللفظ لأول مرة فيخمن معناه،وقد ينتهي به التخمين إلى دلالة غريبة لا تكاد تمت إلى ما في ذهن المتكلم بأي صلة، وقد يؤدي هذا الانحراف إلى تطور اللفظ تطورًا مفاجئًا يرثه الجيل الناشئ ويركن إليه.

ويعد الأطفال أحد الأمثلة البارزة للانحراف اللغوي خصوصًا وأنهم يغلبون جانب الشكل على الوظيفة، فقد يطلق بعضهم على الفأس والمطرقة لفظ (القدوم).

٥. الانتقال المجازي: عادة يتم بدون قصد ويكون بهدف سد فجوة معجمية، ويميز الاستعمال المجازي من الحقيقي للكلمة عنصر النفي الموجود في كل مجاز حي،مثل قولنا: رجل الكرسي ليست رجلا، وعين الابرة ليست

عينـًا، وقد يحدث وأن يشيع الاستعمال المجازي فيصبح للفظ معنيان، وقد يشيع المعنى المجازي على المعنى الحقيقي فيقضي عليه، ويميز العلماء بين أنواع المجاز على النحو الآتي:

أ. المجاز الحي الذي يظل في عتبة الوعي، ويثير الغرابة والدهشة عند السامع.

ب. المجاز الميت، أو الحفري، وهو الذي يفقد مجازيته، ويكتسب الحقيقية من الألفة وكثرة التردد.

ت. المجاز النائم أو الداوي، ويحتل مكانـًا وسطًا بين النوعين السابقين.

٦. الابتداع: ويعد الابتداع أو الخلق من الأسباب الواعية لتغير المعنى ، وغالبا ما يقوم به أحد صنفين من الناس:

أ. الموهبون من أصحاب المهارة في الكلام كالشعراء والأدباء ، وحاجة الاديب الى توضيح الدلالة وتقوية أثرها في الذهن هي التي تحمله على على الالتجاء الى الابداع.

ب. المجامع اللغوية والهيئات العلمية حين تحتاج إلى استخدام لفظ ما للتعبير عن فكرة أو مفهوم معين، وبهذا تعطي للكلمة معنى جديدًا يبدأ أول الأمر اصطلاحيًا، ثم قد يخرج على دائرة المجتمع فيغزو اللغة المشتركة كذلك.

أشكال تغير المعنى

١. توسيع المعنى

يقع توسيع المعنى عندما يحدث الانتقال من المعنى الخاص إلى المعنى العام، ويعني توسيع المعنى أن يصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر من السابق، أو أن يصبح مجال استعمالها أوسع من قبل، ومن الأمثلة على ذلك:

- قد يطلق الطفل كلمة التفاحة على كل الأشياء المستديرة التي تشبهها في الشكل مثل البرتقالة وكرة التنس .
- ومن ذلك أن الطفل يستخدم كلمة (عم)مع كل رجل، وهو بهذا أسقط كل الملامح التمييزية للفظ كالقرابة واكتفى بملمحي الذكورة والبلوغ.

٢. تضييق المعنى: سمّاه إبراهيم السامرائي بـ(تخصيص المعنى)، وهو اتجاه معاكس، ومعناه تحويل الدلالة من المعنى الكلي إلى المعنى الجزئي أو تضييق

مجالها، وعرّفه بعضهم بأنه تحديد معاني الكلمات وتقليلها، ويمكن تفسير التخصيص أو التضييق بعكس التوسيع بأنه إضافة بعض الملامح التمييزية للفظ، فكلما زادت الملامح لشيء ما قل عدد أفراده، ومن الأمثلة على ذلك:

- أ كلمة (حرامي) هي نسبة إلى الحرام، وقد تخصصت دلالتها فأصبحت تطلق على اللص.
- ب في لهجات الخطاب تخصصت كلمة (الطهارة) وأصبحت تعني الختان.
- ت تخصصت كلمة (الحريم) فبعد أن كانت تطلق على كل محرم لا يمس ، أصبحت تطلق على النساء.
- ث كلمة (العيش) تخصصت في مصر فأصبحت تطلق على الخبز.

٣. نقل المعنى

يحدث نقل المعنى عندما يتعادل المعنيان أو إذا كان لا يختلفان من جهة العموم والخصوص ، كما في حالة انتقال الكلمة من المحل إلى الحال أو من المسبب إلى السبب أو من العلامة الدالة إلى الشيء المدلول عليه.

وانتقال المعنى يتضمن طرائق شتى مثل (الاستعارة، وإطلاق البعض على الكل، المجاز المرسل بشكل عام)، أي أن جميع أنواع المجاز التي يتساوى فيها الطرفان يدخل تحت هذا النوع، والأمثلة على ذلك:

- أ كلمة (الشنب) التي كانت تعني في القديم جمال الثغر وصفاء الأسنان، وهي في الاستعمال الحديث تعني الشارب.
- ب كلمة (السفرة) التي كانت تعني الطعام الذي يُصنع للمسافر، وهي في الاستعمال الحديث المائدة وما يوضع عليها من طعام.
- ت (طويل اليد) التي كانت تعني السخاء، وفي الاستعمال الحديث وصف للسارق.

ومن أشكال انتقال المعنى

- أ انحطاط المعنى أو (ابتذاله) ب. رقي المعنى.

وقد تتردد الكلمة بين الرقي والانحطاط ، بل قد تصعد الكلمة الواحدة إلى القمة، وتهبط إلى الحضيض في وقت واحد، والأمثلة على ذلك.

١. اللقب (أفندي) هي لفظة تركية كان لها قدرًا كبيرًا ومركزًا هامًا في القرن التاسع الهجري، وقد انحط قدر هذه الكلمة بمرور الأيام ، وصار الآن ذا قدر تافه.

٢. كلمة (رسول) كان لها معنى الشخص الذي يرسل في مهمة ما، وقد ارتقت اللفظة فأصبحت تدل على مكانة سامية كما نألفها الآن.